فرناندو بيسوا

Fernando Pessoa

تكونُ أحلاماً
لأحلامِ الآخرين

٣٥ سوناتا

ترجمة : علي نرين

مؤسسة ترجمان للترجمة والنشر

٣٥ سوناتا

الكتاب: نَكُونُ أَحْلَاماً لِأَحْلَامِ الآخَرِينَ - **٣٥ سوناتا**

المؤلف: **فرناندو بيسوا**

ترجمة: **علي زين**

التصنيف: **شعر**

الناشر: **دار مدارك للنشر**

الطبعة الأولى: يونيو ٢٠١٩

الرقم الدولي المتسلسل للكتاب: ٣ - ٨١٨ - ٤٢٩ - ٦١٤ - ٩٧٨

ترجمات مزون

Madarek Publishing House

الرياض:

7917 شارع التخصصي ، حي النخيل، الرياض، المملكة العربية السعودية

7917 Takhassusi St, Al-Nakheel District , Riyadh, Saudi Arabia

Zip Coed: 12383-4284, Riyadh, Saudi Arabia. Tel: +966 114541148

دبي:

مجمع إعمار للأعمال، شارع الشيخ زايد، دبي، الإمارات العربية المتحدة

P.O.Box: 333177, Dubai, UAE. Tel: +971 4 390 4774, Fax: +971 4 390 3977

بيروت:

فرن الشباك، الطريق العام، سنتر غاروس، بيروت-لبنان

P.O.Box: 50074, Fern Elchebbak, Lebanon.

جميع حقوق الطبع وإعادة الطبع والنشر والتوزيع محفوظة لـ **مدارك**. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي من **مدارك**.

mdrek.com read@mdrek.com DarMadarek

35 SONNETS

BY

FERNANDO PESSOA

LISBON

1918

«ما أعدُّه ذا قيمة من بين كتبي وكراريسي هو ما يلي: ٣٥ سوناتا «في الإنجليزية-١٩١٩» و«الأجزاء الثلاثة لقصائد إنجليزية».

بيسوا

مقدمة المترجم

هُنا رؤية وتأمل «فرناندوا بيسوا» لوجود روحي وذهني ومادي وطبيعي مرتبك بوضوح. وليس ذلك لأن هذا الوجود كان واضح الارتباك والرؤية وهو فقط رأى وضوحه ونقله لنا، بل لأنه كان لا يُرى، ولـم يكـن لـيرُى، إلا بعـد أن رآه هـو... تُوَظِّف «سوناتات» بيسوا الإنجليزية هذه نحواً معقداً مستمداً من النماذج الإليزابيثية العريقة. كما تلخص بإعجاز شديد ومكثف فكرته عن الفكر ذاته، فكرته الظاهرية عن الداخل، وفكرته الداخلية عن الظاهر. يتحدث بيسوا هنا عن وسائله وتقنياته في الشعور، وعن الشعور، وعن كيف يشعر. يتحدث عن الأسئلة الكبرى ومحركات الوجود والعدم، عن الشك واليقين، عن الأصالة والحداثة، المتن والهامش، عن الخداع، والله، والشيطان، والذات، والخير والشر، وتفاهة الحياة والموت والقدر، يتحدث عن الكره والحب، والمنفى والوطن، والخوف والشجاعة. يتحدث عن كمال التلاشي، وتلاشي الكمال، عن واقعية الفكرة والحقيقة أكثر من الواقع والحقيقة ذاتهما... هكذا تماماً كان يرى الأشياء، ولا يراها، ويرى أنه لا يراها...

هذه هي «السوناتات» النادرة والمعقدة للغاية والمنشورة والمؤرخة قبل مئة عام من الآن

(البرتغال- لشبونة-١٩١٨). والتي تلقت مديحاً حذراً من الصحافة البريطانية بعد نشرها آنذاك، حيث أشارت ملاحظة بملحق التايمز الأدبي ما يلي:» قدرة السيد بيسوا في الإنجليزية أقل قيمة من معرفته بالإنجليزية الإليزابيثية...السوناتات...ستهم الكثيرين بسبب شكسبيريتها المتطرفة شكسبيرياً، والخداع والتودورية المتعلقة بالتكرار والتضمين والتناقضات إضافةً إلى أهمية ما تقوله». جريدة « جلاسجو هيرالد» كانت مجاملة أيضاً، ولكنها أشارت إلى العمل بعبارة واحدة:»سوء محدد في الخطاب، بسبب تقليد بيسوا لحِيل شكسبير».

ويضيف «ريتشارد زينيث»(١٩٥٦) كاتب ومترجم أمـريكي - برتغـالي ومتـرجم بيسـوا الأبـرز للغـة الإنجليزية: «الشعر الذي كتبه بيسوا كان ممتعاً بسبب الأفكار والمشاعر التي يتضمنها، مثلما كان كذلك بسبب الاستخدام المهاري للتقنيات، ولكن كان مثله مثل البيانو الذي يعزف خارج النغمة، أو الكاميرا غير المركَّزة، فإنجليزية بيسوا كانت تحتوي على تشويه طفيف أفسد التأثير الكلي».

فلماذا إذاً أراد بيسوا مبارزة شكسبير في عقر دار لغته؟ لماذا تخلى هذه المرة عن الكتابة بالبرتغالية كما جلّ أعماله الشعرية والنثرية الأخرى، واكتفى بهذا العمل الوحيد برفقة عمل شعري آخر كتبهما

بغير لغته الأم، وقدّرهما كثيراً، كما يشير هو في «مذكراته السيرية» في نهاية كتاب «اليوميات» من ترجمة الشاعر والمترجم القدير المهدي أخريف حيث أورد ما يلي:»ما أعدُّه ذا قيمة من بين كتبي وكراريسي هو ما يلي: ٣٥ سوناتا «في الإنجليزية-١٩١٩» و»الأجزاء الثلاثة لقصائد إنجليزية». لماذا قفز من فوق جدار لغته بينما ظل برتغالياً خالصاً بعاطفته وحنينه وفكره وحلمّيته وتناقضاته وهوسه الكامل بحياته الداخلية؟

اجتهدتُ كثيراً في ترجمة هذه «السوناتات»- والتي أتمنى أن تُترجم مراراً وتكراراً حتى نعثر ونقبض على كل أوجه ما عناهُ وتقصدّه بيسوا- التي أراد بها كاتبها لفت الانتباه بجدارة لمعنى المعنى ولفكر الفكر ولما يتعدى الغرابة والغموض بحد ذاتيهما، أراد أن يقدم بغرائزه الروحية، وبتخييله الخصب وتحليقه الفكري الذاتي والجماعي شيئاً مغايراً وجديداً لما كنّا لا نراه ولا نستطيع التعبير عنه بحكم خمول فكرنا المقّيد والراكد تجاه صعوبة وتعقيد كل ما لا نرغب في الخوض فيه والشعور به. ونجح في ذلك حتماً، وبأكبر قدر ممكن من التناقضات والتعارضات مستخدماً رمزية مشاعره وذكاءه على السواء...

إليها

إلى من اختارت لي هذا العمل لأنه يشبهنا

إليها وحدها:إقبال عبيد.

السوناتات

(١)

سَوَاءً كَتَبْنَا أَمْ تَكَلَّمْنَا أَمْ أَلْقَيْنَا نَظْرَاتِنَا فَحَسَبَ.

فَنَحْنُ أَبَداً غَامِضُونَ، وَعَاجِزُونَ عَنِ التَّحَوُّلِ

إِلَى كَلِمَاتٍ أَوْ كُتُبٍ...

فَأَرْوَاحُنَا بَعِيدَةٌ عَنَّا بَعْدُ اللّا حَدِّ لِلبُعْدِ

وَمَهْمَا مَنَحْنَا أَفْكَارَنَا الإِرَادَةَ

لِتَكُونَ رُوحَنَا وَإِيمَاءَتَنَا البَعِيدَةَ

سَتَظَلُّ قُلُوبُنَا دُونَ قَوْلٍ...

إِذْ بِالطَّرِيقَةِ الَّتِي نُظْهِرُ بِهَا أَرْوَاحَنَا نَكُونُ دُونَ ظُهُورٍ

فَالهُوَّةُ الَّتِي تَتَّسِعُ مِنْ رُوحٍ لِأُخْرَى لَا يُمْكِنُ أَنْ تُرْدَمَ

بِأَيِّ مَهَارَةٍ لِلفِكْرِ أَوْ

حِيلَةٍ لِلشَّكْلِ.

فَحَتَّى عُمْقُ قَرَارَةِ أَنْفُسِنَا نَحنُ مُخْتَصَرُونَ

عِنْدَمَا نَهْمِسُ لِأَفْكَارِنَا بِذَوَاتِنَا...

فَنَحْنُ أَحْلَامُنَا عَنَّا

أَرْوَاحٌ مُضَاءَةٌ

وَلِبَعْضِنَا البَعْضُ، نَكُونُ أَحْلَاماً لِأَحْلَامِ الآخَرِينَ.

(٢)

إِذَا كَانَ ذَاكَ الجُزْءُ مِنْ سَعَادَةِ الدُّنْيَا

وَالَّذِي يُحِيطُ بِهِ شُعُورُ الجَسَدِ المُرْتَعِشِ مرئياً

بِأَيِّ شَيْءٍ عَدَا الانْعِكَاسِ وَالرُّؤْيَةِ الجَسَدِيَّةِ

فَإِنَّ الـفَرَحَ وَالـجَسَدَ وَالـحَيَاةَ لَيْسُوا إِلَّا غِشَاء لِلعَرْضِ...

فَقَدْ يَكُونُ جَسَدُ الحَقِيقَةِ كَائِناً لَا تَرَاهُ العَيْنُ

وَقَدْ يَكُونُ المَظْهَرُ كَمَا هِيَ المُظَاهِرُ خَادِعَةٌ

فَقَدْ يَكُونُ شُعُورُنَا بِالرُّؤْيَةِ الدَّافِئُ وَالغَامِضُ وَالقَاتِمُ وَالقَرِيبُ

لَيْسَ إِلَّا رُؤْيَةً مُخْتَنِقَةً لِعَيْنَيْنِ مَعْصُوبَتَيْنِ...

فَمِنْ أَيْنَ سَيَأْتِي شُعُورُ الحَيَاةِ إِلَى الفِكْرِ؟ مِنْ لَا شَيْءَ مُحَدَّدٍ.

فَإِمَّا أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مَا هُوَ إِلَّا العَالَمِ اللاعَقَلَانِي الَّذِي نَرَاهُ.

أَوْ أَنَّهُ أَيُّ شَيْءٍ آخَرَ غَيْرِ مَعْرُوفٍ

وَلَمْ نَخْتَبِرْهُ مِنْ قَبْلُ فِي فِكْرِنَا...

فَمِنْ أَيْنَ يَأْخُذُنِي

أَلَمُ الحَيَاةِ الشَّبِيهُ بِوَخْزِ الضَّمِيرِ

بِعُمْقٍ جَسَدِيٍّ

وَكُرْهٍ رُوحِيٍّ لمَا أَسْعَى إِلَيْهُ وَمَا أَبْكِي عَلَيْه...

(٣)

عِنْدَمَا أُفَكِّرُ بِأَنَّ أُضْعِفَ أَشْعَارِي.

سَتَكُونُ ذَاتَ فَائِدَةٍ لِلزَّمَنِ أَعْظَمَ مِنْ إِبْدَاعِي بِالكَامِلِ

وَبِأَنَّ العُيُونَ فِي المُسْتَقْبَلِ سَتَشْعُرُ بِي بِشَكْلٍ أَوْضَحٍ

فِي هَذِهِ الـصَّفْحَةِ الـمَكْتُوبَةِ بِالـحِبْرِ مِنْ رُوحِي مُبَاشِرَةً...

وَعِنْدَمَا أُفَكِّرُ بِطَرِيقَةٍ مَا تُمَكِّنُ قُرَّائِي الأَعِزَّاءَ

مِنْ رُؤْيَتِي فِي حَيَاةِ مَا بَعْدَ المَوْتِ

مُمْتَنٌّ لِفِكْرَةٍ مَا لِوُجُودِي

ذَلِكَ الامْتِنَانُ الَّذِي لَنْ يَقُومَ فِي غِيَابِي:

بَكْسُو رُوحِي الحَقِيقِيَّةَ بِالجَلِيدِ

وَبَصُبِّ الغَضَبَ عَلَى جَوْهَرِ هَذَا العَالَمِ...

فَذَلِكَ الشُّعُورُ وَحْدَهُ مَا سَيَجْعَلُ مِنْ أَمْرِي بِهَذَا الشَّكْلِ،

أَوْ قَابِلاً لِلتَّفْكِيرِ فِيهِ بِهَذَا الشَّكْلِ:

مَاسِكاً رُوحِي مِنْ عُنُقِهَا لِيَرْمِيَهَا بِعُنْفٍ

إِلَى مَخَاوِفَ لَيْلِيَّةٍ مِنْ ظُنُونٍ كَئِيبَةٍ

لِأُصْبِحَ عِنْدَهَا مُجَرَّدَ إِحْسَاسٍ لِغَضَبٍ...

غَضَبٌ سَتُنَقِّصُهُ الكَلِمَاتُ اللَّازِمَةُ

وَالَّتِي كَانَ بِإِمْكَانِ خَسَارَتِهَا أَنْ تُهَدِّئَهُ...

(٤)

لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أُفَكِّرَ بِكِ كَمَا لَوْ كُنْتِ أَشْلَاء عَفِنَةً.

إِلَّا أَنَّكِ كُنْتِ كَذَلِكَ بِالفِعْلِ، مَيِّتَةً لِأَمَدٍ طَوِيلٍ.

وَمَعَ ذَلِكَ كُنْتِ حَيَّةٌ بِالكَامِلِ فِي رُؤْيَةِ فِكْرِي...

فَمَا كَانَ مِنْكِ فِيَّ لَمْ يُغَادِرْنِي عَلَى الإِطْلَاقِ.

بَلْ، لَقَدْ ثَبَّتَتْ لَحَظَاتِ ذَلِكَ الجَمَالِ.

بِابْتِسَامَةٍ مُنْحَسرةٍ. أَوْ بِاسْتِعْدَادٍ لِقُبْلَةٍ...

فَالذَّاكِرَةُ قَدْ عَلَّمَتْ قَلْبِي كَيْفَ يَكُونُ الوَاجِبُ.

وَبِأَنْ أَعْرِفُكَ لِلأَبَدِ بِتِلْكَ الحَالَةِ الخَالِدَةِ...

إِلَّا أَنَّنِي عِنْدَمَا قَدِمْتُ إِلَى حَيْثُ كُنْتِ مُمَدَّدَةً وَرَأَيتُ

الزُّهُورَ الطَّبِيعِيَّةَ تَتَجَاهَلُكَ دُونَ لَوْمٍ

وَرَأَيتُ العُشْبَ المُتَعَدِّي بِامْتِدَادِهِ الطَّبِيعِيِّ

مُحِيطاً بِالحَجَرِ حَيْثُ نُقِشَ عُمْرُكِ بِجَانِبِ اِسْمِكَ

لَمْ أَعْرِفْ كَيْفَ أَشْعُرُ،

وَلَا كَيْفَ أَكُونُ.

حِيَالَ هَذِهِ السِّرِّيَّةِ المَحْسُوسَةِ لِلمَصِيرِ.

(٥)

كَيْفَ لِي أَنْ أُفَكِّرَ أَوْ أَنْ أُحَوِّلَ أَفْكَارِي إِلَى فِعْلٍ

بَيْنَمَا تَكَوُّنُ الضغوطاتُ الشَّحِيحَةُ لِحَاجَةٍ كُلَّ يَوْمٍ.

مُؤْلِمَةً لِدَرَجَةٍ أَضْيَقُ مَعَهَا وَأَتَشَتَّتُ بَعِيداً.

بِرُوحِي الفَزِعَةِ دَاخِلَ طَمِعَ الوَقْتِ فِي العَمَلِ وَفِي العَالَمِ؟

كَيْفَ لِي أَنْ أُوقِفَ أَفْكَارِي الَّتِي تَدُورُ حَوْلَ المَهَامِّ

وَرُوحِي الَّتِي وَلَدَتْ لِتُفَكِّرَ فِي تَحْقِيقِهَا

فِي حِينِ أَنَّ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ تُولَدُ فِكْرَةٌ تَسْتَجِدِي

أَنْ تَزْرَعَ ذَاتَهَا فِي العَطَشِ الفَوْرِيِّ لِجِذْعِ الأَفْكَارِ؟

بِتِلْكَ القِطْعَةِ النَّقْدِيَّةِ الَّتِي أُخَبِّئُهَا لِأَتَزَوَّجَ مِنْ مُلْهِمَتَيْ

وَلِأَبْنِي مَنْزِلَنَا فِي ذَلِكَ الوَقْتِ المُسْتَقْبَلِيِّ العَظِيمِ

بِتِلْكَ القِطْعَةِ الَّتِي تَتَحَلَّلُ بِفَضْلِ احْتِيَاجَاتِ كُلِّ يَوْمٍ

حَتَّى أَشْعُرُ لِكَأَنِّي أُفقِرْتُ لِلأَبَدِ

مِثْلَ مُذْنِبٍ مَسِيحِيٍّ حَقِيقِيٍّ مَدْفُوعٍ كُلَّ يَوْمٍ بِرَغْبَةِ الجَسَدِ

عَبْرَ أَفْعَالِهِ وُصُولاً حَتَّى تَخَلِّيهِ عَنْ جَنَّتِهِ الَّتِي يَتَمَنَّاهَا...

(٦)

كَخَطِيبٍ سِيِّئٍ

وَذِي مَهَارَةٍ ضَارَّةٍ بِالكُتُبِ.

يَتَدَفَّقُ هَدَفُهُ بِحَرَارَةٍ مُصْطَنِعَةٍ

وَتَمَاماً كَسَاعَةٍ تُضْبَطُ بِلَا شَيْءٍ

مَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ دَقَّاتٌ غَرِيزِيَّةٌ دَاخِلَه...

أَوْ كَمَنْ هُوَ مَاهِرٌ بِالنَّثْرِ، وَتَحَوَّلَ قَسْراً لِيُصْبِحَ شَاعِراً.

شَاعِراً تَنْقُصُهُ المُوسِيقَا الرَّقِيقَةُ فِي مِيزَانِهِ المُوسِيقِيِّ...

شَاعِراً بِاهْتِمَامٍ عَقِيمٍ يُحَاوِلُ جَاهِداً ثُمَّ يُرْفَضُ بِازْدِرَاءٍ.

بَيْنَمَا يَسْتَمِيلُ بِخُطَّابٍ غَرِيبِ رَغْبَةَ المُلْهِمَةِ فِيهِ...

إِنَّنِي أَتَدَبَّرُ: كَيْفَ أُحِبُّ أَوْ كَيْفَ أَكْرَهُ؟

فَغَرِيباً يَجْعَلُنِي وَعْيِي عَنِ الشُّعُورِ

بِفِكْرَةٍ تَشْعُرُ أَنَّهَا مُجْبِرَةٌ لِتَكُونَ رَصِينَةً

مَعَ أَنَّ طَبِيعَةَ المَشَاعِرِ أَنْ تَكُونَ عَنِيفَةً...

فَمَنْ ذَاكَ الَّذِي يَتَعَلَّمُ السِّبَاحَةَ دُونَ مَاءٍ

عِنْدَمَا يَظُنُّ أَنَّهُ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ مِنْ تَعَلُّمِهَا

وَيَكُونُ حَقِيقَةً بَعِيداً كُلَّ البُعْدَ.

(٧)

كَلِمَاتُكِ نَحْوِي تُعَذِّبُنِي

وَهَذَا العَذَابُ يُحْزِنُكِ.

فَهَذَا المَوْتُ الكُلِّيُّ هُوَ الوَحِيدُ القَادِرُ عَلَى إِنْهَاءِ فِكْرِيّ الكُلِّيِّ.

أَشْعُرُ بِالعَذَابِ،

وَذَلِكَ لَيْسَ لِأَنَّنِي أُؤَمِّنُ بِكِ.

وَلَكِنَّ لِأَنَّنِي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ لَا أُؤَمِّنَ بِكِ...

فَكُلُّ مَا فِي دَاخِلِي الآنَ يَحْتَوِي النُّجُومَ

فَهَلْ تَكُونِي مِنْ ضِمْنِ تِلْكَ النُّجُومِ النَّاجِيَةِ؟

فَإِنْ كَانَ هَذَا القَدْرُ ظَالِماً

فَأَيْنَ حَتَّى الآنَ نَزَاهَةُ الحَقِيقَةِ

مِنْ كُلِّ حَقِيقَةِ القَدْرِ الظَّالِمَةِ؟

وَأَمَّا عَنِ التَّخْمِينِ فَإِنَّهُ لَا يَتَنَاسَبُ مَعَ وَاقِعِ هَذَا العَالَمِ المَرْئِيِّ

فَرِدَاءُ فِكْرِ التَّخْمِينِ دَائِماً عَارٍ وَمَثْقُوبٌ

فَأَفْضَلُ مَا سَيَصْنَعُهُ هُوَ أَنْ يُشَكِّلَ عَالِماً آخَرَ بَعِيداً عَنِ الحَقِيقَةِ...

فَدُونَ الحَقِيقَةِ ذَاتُهَا لَنْ تَكْتَشِفَ إِلَّا خِدَاعاً حَقِيقِيّاً.

وَلَكِنّ هُنَاكَ عَالَماً آخَرَ عَلَيْكَ اِكْتِشَافُهُ

هُنَاكَ حَيْثُ كُلُّ شَيْءٍ مُمْكِنٌ

حَيْثُ الأَفْكَارُ الخَامِلَةُ تَكُونُ أَقَلَّ خُمُولاً

وَحَيْثُ النَّفْسُ وَاضِحَةٌ دُونَ خِدَاعٍ أَوْ فَزَعٍ.

(٨)

لَقَدْ أَسْقَطْتُ العَدِيدَ مِنَ الأَقْنِعَةِ الَّتِي نَرْتَدِيهَا

أَسْقَطْتُ أَيْضاً مَا تَحْتَ الأَقْنِعَةِ

تِلْكَ الأَقْنِعَةُ الَّتِي عَلَى وَجْهِ أَرْوَاحِنَا...

وَلَكِنْ مَتَى تَعْرِفُ الرُّوحُ ذَاتَهَا أَنَّهَا أَصْبَحَتْ غَيْرَ مُقْنِعَةٍ

وَأَنَّ القِنَاعَ الأَخِيرَ قَدْ سَقَطَ وَالوَجْهَ أَصْبَحَ عَادِيّاً؟

فَالقِنَاعُ الحَقِيقِيُّ يَشْعُرُ أَنْ لَيْسَ هُنَاكَ شَيْءٌ بِدَاخِلِهِ

وَلَكِنَّهُ سَيَنْظُرُ مِنْ خِلَالِ القِنَاعِ عَبْرَ أَعْيُنٍ مُقَنَّعَةٍ...

وَمَهْمَا كَانَ الوَعْيُ الَّذِي سَيَبْدَأُ بِتِلْكَ المَهمة

فَإِنَّ القُبُولَ بِهَا لَنْ يُجْدِي سِوَى فِي يَقْظَتِي...

وَمِثْلَ طِفْلٍ يَخَافُ.

وَيَهْرُبُ بَعِيداً عِنْدَ رُؤْيَةِ وَجْهِهِ المعكوس أَمَامَهُ

فَأَرْوَاحُنَا، أَرْوَاحُ وُجُوهِ ذَلِكَ الطِّفْلِ بِلَا قُيُودٍ. حَيْثُ فِقْدَانُ الفِكْرِ

وَحَيْثُ مَا سِوَاها مَدْسُوسٌ فِي رُؤْيَتِهِمِ المُتَجَهِّمَةِ.

تِلْكَ الَّتِي سَتَحْمِلُ الـعَالَمَ أَجْمَعَ عَلَى تَسَبُّبِهِمِ المَنْسِيِّ...

فَعِنْدَمَا يَرْغَبُ الفِكْرُ فِي فَضْحِ خَفَاءِ وَقِنَاعِ أَرْوَاحِنَا

عِنْدَهَا فَقَطْ سَيَغْدُو بِذَاتِهِ قِنَاعـاً لِلأَرْوَاحِ غـيْرُ المُقَنَّعَةِ...

(٩)

آهٍ. مَا أَجْمَلُ أَنْ تَكُونَ كَسُولاً مُحباً لِلخُمُولِ!.

وَلَكِنَّي أَصْبَحْتُ عَاطِلاً عَنْ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى عَنْ كُرْهِ نَفْسِي

حَتَّى فِي أَحْلَامِي أَصْبَحْتُ عَاجِزاً

هَاوِياً فِي الإِجْهَادِ الزَّائِفِ لِلمَهَامِّ الَّتِي قَصَدْتُهَا وَلَمْ تُنْجِزْ أَبَداً..

أَصْبَحْتُ مِثْلَ وَحْشٍ شَرِسٍ كُبِتَتْ رُوحُهُ فِي طُعمه المُخَبَّأْ.

فَرَغْبَتِي فِي العَمَلِ تَحَوَّلَتْ لِفَائِضٍ عَنِ العَمَلِ

فَكَيْفَ يَتَّفِقُ الفِكْرُ مَعَ اليَأْسِ المستعرِ.

وَكَيْفَ يَتَّفِقُ الغَضَبُ مَعَ اليَأْسِ المُشَتَّتِ؟.

أَصْبَحْتُ مِثْلَ مَنْ يَغْرَق فِي الرِّمَالِ الغَادِرَةِ

أَصْبَحْتُ مِثْلَهُ كُلَّمَا انْتَفَضْتُ لِلخُرُوجِ ازْدَدْتُ عُمْقاً...

فَعَرَفْتُ أَنْ لَا جَدْوَى مِنْ الكِفَاحِ

فَأَنْ لَا تَفْعَلَ شَيْئاً لهُوَ أَنْجَى...

فَلَمْ يَعُدْ لِي قُوَّةٌ

بِالرَّغْمِ مِنْ كَثْرَةِ البُطْءِ عَدِيمِ الفَائِدَةِ...

وَلِذَلِكَ فَأَنَا أَعِيشُ الحَيَاةَ الميِّتَةَ كُلَّ يَوْمٍ

مُعِيداً تَوْجِيهَ هَدَفِي بِاسْتِمْرَارٍ لِأَسْتَطِيعَ فَقَطْ

إِعَادَةَ تَوْجِيهِهِ فِي اليَوْمِ التَّالِي...

(١٠)

وَكَمِثْلِ طِفْلٍ، كُنْتَ أُحَدِّثُ قَلْبِي لِيَنَامَ.

وأُمَنيهِ بِيَوْمٍ آخَرَ مِنَ الوُعُودِ الكَاذِبَةِ...

فَيُنَامُ قَلْبَي، وَلَيْسَ بِسَبَبِ كَلِمَاتِي يَنَامُ

وَلَكِنْ مِنَ التَّفْكِيرِ بِشُعُورٍ مَا قَالَتْهُ تِلْكَ الكَلِمَاتُ...

وَلِأَنَّ قَلْبِي يَعْنِيهِ الشُّعُورُ،

وَلِأَنَّهُ سَيَظَلُّ يُفَكِّرُ فِي الشُّعُورِ.

فَهَلْ سَيَصْحُو؟ وَهَلْ سَيَجِدُ مَا مَنَّيْتَهُ بِهِ فِي الغَدِ؟

أَلَنْ يَقْتَرِبَ مِنْ حَافَّةِ كَلِمَاتِي لِيَأْخُذَ الوُعُودَ مِنْهَا بِطَرِيقَتِهِ؟.

وَلِذَلِكَ، إِذَا لَمْ يَصْحُ قَلْبِي

فَذَلِكَ لِأَنَّهُ يَتَخَدَّرُ الآنَ، وَلَيْسَ بِنَوْمِهِ

. بَلْ بِنَوْمِ ذَلِكَ الفَرَحِ المَوْعُودِ لِلغَدِ...

فَهَكَذَا يَنَامُ قَلْبِي، كَمَنْ يَشْكُرُ الزُّهُورَ

عَلَى تَفَتُّحِ أَوْرَاقِهَا الَّتِي لَمْ تَتَفَتَّحْ بَعْدُ...

فَهَلْ مَعَ هَذَا الخِدَاعُ سَأَسْتَطِيعُ تَقْيِيدَ قَلْبِي؟.

قَلْبِي... الَّذِي أَصْبَحَ يَعْرِفُ بِنَفْسِهُ خِدَاعَ نَفْسِهِ...

(١١)

وَمِثْل سَفِينَةٍ تَحُثُّ العَوَاصِفُ نَحْوَ مَسَارِهَا

تترّسخ أَرْوَاحُنَا أَكْثَرَ بِافْتِعَالِ مِحَنِهَا الخَاصَّةِ بِهَا...

فَمَا الَّذِي يَجْعَلُ مِنَ الرِّحْلَةِ أَسْوَأَ

سِوَى أَنْ تَفَكُّرَ أَنْ تَجْعَلَ مِنْهَا آمِنَةً

فَخَطَرُ الرحلة سَيَكُونُ مِنِ استجداء المُسَاعَدَةِ مِنْهَا...

فَلِنَتَعَلَّمْ أَنَّهُ:

وَكَمَا تَتَوَلَّدُ العَاصِفَةُ مِنَ العَاصِفَةِ

فَإِنَّ قُلُوبَنَا تَنْمُو مِنَ المَخَاطِرِ

نَحْوَ مِينَاءٍ يَكُونُ أَقْرَبَ كَثِيراً

مِنْ المِينَاءِ الَّذِي تَحَرَّكْنَا مِنْهُ

نَحْوَ مِيـنَاءٍ حَقِيـقِيٍّ وَيَكُونُ دَائِمـاً حَيْثُ يَنْدَفِعُ اتِّجَاهُنَا...

فَهَذَا مَا سَنَتَعَلَّمُهُ مِنَ العَوَاصِفِ:

فَعِنْدَمَا تَهُبُّ العَاصِفَةُ

فَإِنَّ تَغْطِيَتَهَا السَّوْدَاءَ لَنَا

هِيَ الوَعْدُ الَّذِي سَيَدْفَعُنَا نَحْوَ زُرْقَةِ أَقْرَبِ سَمَاءٍ بَعِيدَةٍ...

فَلِنَتَعَلَّمْ إِذاً كَيْفَ نَمْتَلِكُ مَهَارَةَ الخَطَرِ

وَعِنْدَهَا فَقَطْ سَتَكُونُ العَوَاصِفُ لَنا.

(١٢)

كَعَابِرٍ وَحِيدٍ

وَخَائِفٍ مِنْ لَيْلِ الطَّرِيقِ.

كَعَابِرٍ وَحِيدٍ مُسْتَدِيرٍ لِلخَلْفِ فَجْأَةً

دُونَ أَنْ يَجِدَ شَيْئاً لِكَشْفِهِ.

كَعَابِرٍ وَحِيدٍ مَا زَالَ حَتَّى الآنَ:

مُحَافِظاً عَلَى إِحْسَاسِهِ بِالخَوْفِ

الَّذِي لَا يَحْمِلُ شَيْئاً سِوَى الشَّكِّ...

كَعَابِرٍ وَحِيدٍ يَتَحَرَّكُ نَحْوَهُ الفَزَعُ البَارِدُ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ.

خَارِجاً مِنْ شَيْءٍ يَخْرُجُ مِنْ لَا شَيْءٍ كَعَثْرَةٍ!.

عَثْرَةٍ كَانَ عِنْدَمَا يَتَقَدَّمُ نَحْوَ خَوْفِهِ أَكْثَرَ لَا يَجِدهَا!.

عَثْرَةٍ لَنْ تَكُونَ وَاضِحَةً إِلَّا عِنْدَمَا لَا تُرَى...

وَمِثْلَهُ أَنَا:

عَلَى طَرِيقِ العَالَمِ كُنْتُ أَتَلَفَّتُ فِي الفِكْرِ

حَيْثُ لَا شَيْءَ كَانَ يُرَى،

وَلَا شَيْءَ يُمْكِنُ أَخْذُهُ بِالجَسَارَةِ

سِوَى رُعْبِي الَّذِي كَانَ يُرَى مِنْ لَا مَنْظَرٍ أَوْ رُؤْيَة...

فَإِلَى ذَلِكَ الشُّعُورِ الفَارِغِ وَالمُشْتَرَكِ كُنْتُ أَمْضِي

رَاسِماً شُعُورَ فَزَعِي الغَامِضِ مِنْ عَدَمِ رُؤْيَةِ

وَحْدَةِ سِرِّ الغُمُوضِ ذَاكَ...

(١٣)

عِنْدَمَا أُخَلْدُ إِلَى النَّوْمِ

وَلَا أَسْمَعُ إِلَّا صَوْتَ نَبَضَاتِ قَلْبِي

هَمْساً فِي أَعْمَاقِ قَلْبِي... كَمْ أَحِبّكِ.

فَكَمْ هُوَ لَذِيذٌ سَمَاعُ صَوْتِ نَفْسِي

وَكَمْ هِيَ جَمِيلَةٌ كَلِمَاتٌ كَتَبَتْهَا فِي سَمْعِي.

وَهُنَا أَتَسَاءَلُ: هَلْ هَذِهِ هِيَ رُوحُ الشَّاعِرِ؟

فَأَنَا عَاجِزٌ عَنْ أَنْ أَقُولَ لَكَ كَيْفَ أُحِبُّكِ.

وَأَوَدُّ لَوْ أَنَّكِ تَفْهَمِينَ ذَلِكَ مِنْ خِلَالِ كَلِمَاتِي الضَائِعَة.

فَمَا هَذَا الوَعْيُ الَّذِي يَزْدَادُ بِجَلْبِ الوَعْيِ؟

لَا أَفْهَمُ، لِمَاذَا تُصْبِحُ الأَشْيَاءُ أَقَلَّ قِيِّمَةً

فَشُعُورِي بِالحُبِّ لَا عَلَاقَةَ لَهُ بِتَرَفِ المَلَابِسِ...

فَحُبّ الشَّاعِرِ مُخْتَلِفٌ

تَعْنِيهِ هَذِهِ الكَلِمَاتُ:

أُحِبُّ شَوْقِي إِلَيْكِ

أَكْثَرَ مِنْ حُبِّي لَكِ.

(١٤)

نُولَدُ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ وَنَمُوتُ بِحُلُولِ الصَّبَاحِ

وَبِذَلِكَ نَكُونُ قَدْ عَرَفْنَا كُلَّ ظُلْمَةِ العَالَمِ.

كَيْفَ يَا تُرَى يُمْكِنُ لَنا أَنْ نُخَمِّنَ حَقِيقَةً ذَلِكَ الظَّلَامِ

وَكَيْفِيَّةَ وِلَادَتِهِ؟

كَيْفَ يُمْكِنُ لَنا إِدْرَاكَ تِلْكَ النَّتِيجَةِ الغَامِضَةِ

وَالمُشَوَّشَةِ لِلتَّوَهُّجِ الغَائِبِ؟

فَلَيْسَ لَنا إِلَّا النُّجُومُ، تُعَلِّمُنَا الضَّوْءَ

مُتَشَبِّثُونَ بِصِغَرِ نُورِهَا المُبَعْثَرِ مَعَ أَفْكَارِنَا الضَّالَّةِ

وَعِبْرَ عُيُونِهَا نَنْظُرُ لِقِنَاعِ اللَّيْلِ المُكْتَمِلِ

وَإِلَى اللَّحْظَةِ فَهِيَ لَا تَنْطِقُ بِمَلَامِحَ اليَوْمِ...

فَلِمَاذَا كُلُّ هَذَا الصِّغَرِ يُنْكِرُ مِنَ الكُلِّ

أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ السَّوَادِ الَّذِي يَجْذِبُ العَيْنَ؟

فَلِمَاذَا أَصْبَحَتْ أَرْوَاحُنَا أَسِيرَةَ الظَّلَامِ

وَلِمَاذَا أَصْبَحْنَا نَهْرُبُ مِنَ النُّورِ دَوْماً

إِلَى عَتَمَةِ اللَّيْلِ لِنَسْتُرَ خَوْفَنَا؟

بَلْ وَنَتَمَنَّى أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَمْتَدَّ الظَّلَامُ.

وَعِنْدَمَا يَأْتِي الصَّبَاحُ

نَسْتَقْبِلُهُ أَيْضاً بِفِكْرَةِ اللَّيْلِ الغَامِضَةِ.

(١٥)

مِثْلُ عَاشِقٍ يَائِسٍ ومرتجف

يَغْمُرُهُ ذَلِكَ الشُّعُورُ المُخْتَلِطُ:

مِنْ كَوْنِهِ لَيْسَ مَحْبُوباً ومُحباً عَلَى السَّوَاءِ...

العَاشِقُ الَّذِي كَانَ بِخَشْيَتِهِ مِنَ الشَّوْقِ

سَيَعْرِفُ بِشَكْلٍ خَادِعٍ

مَعَ مَنْ كَانَ يَوَدُّ أَنْ يُثْبِتَ

مَا كَانَ يَخْشَى مِنْ إِثْبَاتِهِ قَرِيباً...

إِنَّنِي أَنْظُرُ بِعُيُونٍ دَاخِلِيَّةٍ مَا زَالَتْ خَائِفَةً مِنَ النَّظَرِ

أَنْظُرُ بِنَظْرَةٍ مَا زَالَتْ مُرْتَبِكَةً وَهِيَ تَبْحَثُ عَنْ مَعْنَاهَا...

وَإِنِّي لَأَتَسَاءَلُ:

مَا نَوْعُ الأَفْكَارِ الَّتِي تَلِدُ فِي القُلُوبِ المغتربةِ؟

وَلَكِنْ مَنْ مِثْلُهُ،

هُوَ مَنْ يَصْنَعُ الحُبَّ، وَالمَحَبَّةَ، وَالأَمَلَ.

فَإِنَّهُ مَا زَالَ يَأْمَلُ وَيَخْشَى.

الخَشْيَةُ مِنْ إِظْهَارِ الدَّلِيلِ عَلَى الدَّلِيلِ...

هُوَ مَنْ يَتَلَمَّسُ دَلِيلَهُ المُحْتَمَلَ مِنْ دَاخِلِ ذِهْنِهِ

وَيُؤَجِّلُ الدَّلِيلَ الحَقِيقِيَّ لِئَلَّا يَهْزَأُ مِنْ حَقِيقَتِهِ...

فَحَتَّى يَكُونُ قَادِراً عَلَى العَيْشِ كُلَّ يَوْمٍ

فَإِنَّهُ سَيُصْبِحُ الدَّلِيلَ ذَاتَهِ الَّذِي يَحْلمُ بِرُؤْيَتِهِ.

وَلَكِنْ فَقَطْ:

عَبْرَ تَقَاطُعِ فِكْرِهِ.

بِتَفْكِيرِ الآخَرِينَ بِهِ...

(١٦)

لَا مُتْعَةَ كَامِلَةٌ أَبَداً لَنا...

وَلَكَمْ تَمَنَّيتُ لَوْ كَانَ الفَرِحُ مُمْتِعاً.

فَنَحْنُ لَا نَمْلِكُ جُرْأَةَ النَّدَمِ عَلَى خَيْبَةِ الأَمَلِ

وَكُلُّ مَا نَفْعَلُهُ هُوَ أَنْ نَتَذَكَّرَ فَقَطْ

وَنَجْترَّ فَرْحَةَ مَا مَضَى...

فَلَحْظَةُ الفَرحِ يُعْقِبُهَا مُتْعَةٌ

عِنْدَمَا تَكُونُ فَرْحَةً حَقِيقِيَّةً..

وَلَكِنَّ بَعْدَ كُلِّ تِلْكَ المُتْعَةِ ذِكرى تَعَقبهَا

ذِكْرَى لِتِلْكَ اللَّحَظَاتِ الجَمِيلَةِ

وَهَكَذَا فَنَحْنُ نَدُورُ فِي حَلَقَةٍ مُفْرَغَةٍ...

فُواحَسْرَتَاهُ!!.

كُلُّ هَذَا الشُّعُورِ مِنْ أَجْلِ لَحْظَةٍ مِنَ الفَرَحِ...

فَلَن يَدُومَ الفَرَحُ عِنْدَمَا يَصْطَدِمُ بِجِدَارِ صَمْتِ الحَيَاةِ المدّمر.

وَإِلَى اللَّحْظَةِ:

تُفْسَدُ الفَرْحَةُ بِمُجَرَّدِ أَنْ نُدِيرَ تَفْكِيرِنَا

فَيَجِبُ أَلَّا نُفَكِّرَ لِكَيْ لَا نُفْسِدَ الفَرَحَ.

(١٧)

حُبِّي.. وَلَيْسَ أَنَا، هُوَ الأَنَانِي...

حُبِيَ لَكِ...

يُحِبُّ نَفْسَهُ أَكْثَرَ مِنْكِ

وَأَكْثَرَ مِنِّي.

يُعْدِمُنِي

وَيَسْتَنْزِفُ وُجُودِي...

فَفِي بَلَدِ الجُسُورِ، يَكُونُ الجِسْرُ أَكْثَرَ وَاقِعِيَّةً

مِنَ الشَّوَاطِئِ الحَقِيقِيَّةِ المُمْتَدَّةِ فِيهَا.

وَالأَمْرُ ذَاتُهُ كَذَلِكَ فِي عَالَمِنَا

وَفِي كُلِّ العَلَاقَاتِ...

نَعَمْ، فَالحَقِيقَةُ هِيَ أَنَّ الحُبَّ هُوَ الحُبُّ بِذَاتِهِ...

وَدُونَ المُحِبِّ...

ثَمَّةَ فِكْرَةٌ تَأْتِي بِخِفَّةٍ وَتَقْرَعُ بَابَ الشَّكِّ

فَإِذَا كُنَّا نَرَى جَوْهَرَ هَذَا العَالَمِ

مُجَرَّدَ فَتَرَاتٍ وَفَوَاصِلَ

كَغِيَابِ اللهِ عَنْهُ، وَلَا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ.

حَيْثُ عَالَمٌ أُجَوَفُ مِنَ الوَعْيِ وَالفِكْرِ الحَقِيقِيِّ

وَإِذَا كَانَ مِنَ المُمْكِنِ لِلفِكْرِ أَنْ يَحْمِلَ هَذِهِ الميزَةَ

فَلِمَاذَا يَكُونُ الأَمْرُ مُسْتَحِيلاً عَلَى الحَقِيقَةِ؟

(١٨)

ذَلِكَ الفَضَاءُ اللامَحْدُودُ فِي اللَّيَالِي المُمْتَدَّةِ

سِرٌّ غَامِضٌ مِنْ أَسْرَارِ الوُجُودِ...

تِلْكَ النُّجُومُ الضَّالَّةُ

بِضَوْئِهَا الَّذِي لَا يُحْصَى وَلَا يُعَدُّ. تُكَرِّرُ لُغْزاً وَاحِداً

حَتَّى تَنْتَهِي قُدْرَتُكِ عَلَى التَّخْمِينِ...

تَيَّارُ الزَّمَنِ

تَعْرِفُهُ بِفَقَاعَاتِ انْفِجَارِ الوِلَادَةِ

وَخَلِيجُ الصَّمْتِ فَارِغٌ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ...

مَتَاهَةُ الفِكْرِ ذَاتُ جُدْرَانٍ عَالِيَةٍ

وَتُسَبِّبُ التَّشَوُّشَ لِصَاحِبِهَا

وَذَلِكَ بِسَبَبِ أَنَّ التَيْهَ قَدْ أُمْعِنَ فِيهِ

وَأَنَّ الخُطَّةَ قَدْ نُسِيَتْ...

وَهَكَذَا عِنْدَمَا أُفَكِّرُ فِي ذَلِكَ

وَأَنَّنِي أَقِفُ هُنَا،

أَجِدُ أَنَّ مَنْ يُفَكِّرْ فِي تِلْكَ الأَفْكَارِ فَارِغاً مِنَ الحِكْمَةِ...

وَعِنْدَهَا فَقَطْ أَسْتَجْمِعُ إِلَى أَفْكَارِي كُلَّ مَا اِسْتَطَعْتُ الحُصُولَ عَلَيْهِ.

وَأُمْعِنَ النَّظَرَ فِيهُ بِعُيُونٍ فِكْرِيَّةٍ غَرِيبَةٍ:

حَيْثُ صِلَاتِي الخَاصَّةُ بِتَسَاؤُلِي مُحْدِقَةٌ لِلمَاضِي

وحَيْثُ الظَّلَامُ الكَوْنِيُّ وَحِيدٌ وَوَاسِعٌ.

(١٩)

الجَمَالُ وَالحُبُّ لَا تَدْعُ أَحَدَهُمَا يَنْفَصِلُ عَنِ الآخَرِ.

فَهَذَا مَا مَنَحَتْهُ الطَّبِيعَةُ بِدِقَّةٍ لِكِلَيْهِمَا

فَالحُبُّ قَدْ مُنِحَ لِلجَمَالِ كَقَدْرٍ أَبَدِيٍّ

وَبِالنِّسْبَةِ لِلحُبِّ فَالجَمَالُ هُوَ لَوْنُهُ الحَقِيقِيُّ.

فَدَعْ هَذَا الحُبَّ يَكُنْ رَفِيقَ رُوحِكَ الحَقِيقِيَّ

وَلِيَكُنْ هَذَا الحُبُّ ضِمْنَ فِكْرِ الجَسَدِ...

لِذَلِكَ...

لِنرَ العَاشِقَيْنِ جَسَدَيْنِ. يَحْمِلَانِ هَذَا الثُّنَائِيَّ مَعاً.

تَحْقِيقاً لِجَمَالِ سَعْيِ كُلٌّ مِنْهُمَا لِلآخَرِ...

أَحَبَّكَ حباً بَعِيداً عَنْ سُخْرِيَّةِ الحُبِّ

وَسُخْرِيَّتُكَ وَسُخْرِيَّةُ قُبْحِي..

وَلِذَا... فَإِنَّ الجَمَالَ الَّذِي أَتَغَنَّى بِهِ وَأَتَمَنَّاهُ لَيْسَ لَكَ.

فَحَمْداً لِلرَّبِّ أَنَّنِي لَمْ أَبْتَعِدْ أَبَداً عَنْ مَكَانِهِ

خَاشِياً، مِثْلَ عَبْدٍ يَلْبَسُ جِلْبَابَ سَيِّدِهِ.

فَهَلْ بِمُجَرَّدِ أَنْ يَرْتَدِيَهُ سَيُحَوِّلُهُ لِقُبْحٍ؟

(٢٠)

عِنْدَمَا تَتَّسِعُ دَائِرَةُ الوِلَادَةِ الجَدِيدَةُ.

لِجَسَدٍ جَدِيدٍ، فَعَلَى رُوحِي المُسَافِرَةُ أَنْ تَأْتِيَ مَعَهَا

لِأَجُوسَ مَرَّةً أُخْرَى عَلَى الأَرْضِ الَّتِي نَسِيتُ كُلَّ

تَفَاصِيلِهَا

مَعَ كُلِّ ذَلِكَ الحُزنُ القَدِيمِ لِلمَنْزِلِ الخَالِدِ...

فَهَلْ عَلَيَّ أَنْ أُعِيدَ النَّظَرَ فِي كُلِّ تِلْكَ الحُقُولِ.

وَأَقْطِفُ تِلْكَ الزُّهُورَ القَدِيمَةَ المُتَجَدِّدَةَ الَّتِي لَا زَالَتْ تَحْمِلُ الشُّعُورَ نَفْسَه؟

وَهَلْ عَلَيَّ أَنْ أَسْتَنْشِقَ بَعْضاً مِنَ النَّفَسِ الرَّقِيقِ لِعَوْدَةِ تِلْكَ الذِّكْرَيَاتِ المُحْبِطَةِ

لِذَلِكَ العُمْرِ الأَكْبَرِ مِنْ كُلِّ أَيَّامِي فِي هَذَا المَظْهَرِ؟

وَهَلْ عَلَيَّ مَرَّةً أُخْرَى النَّدَمُ عَلَى فِقْدَانِ كُلِّ تِلْكَ الوُجُوهِ الغَرِيبَةِ

الَّتِي نَسِيتُهَا ذَاكِرَتِي هَذِهِ

وَأُوْدِعَتْ فِي غُمُوضِ عَالَمِي غَيْرِ المَرْئِي

وَبَعِيداً حَتَّى عَنِ البَحْرِ المُغْلَقِ وَاللَّيْلِ المُعْتِمِ لِلفِكْرِ؟

فَلَوْ يَعُودُ وَجْهُكِ فَقَطْ، فَكَمْ سَيَكُونُ ذَلِكَ عَذْباً

فَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ شُعُورِي الأَعْمَى عِنْدَهَا

إِلَّا أَنَّنِي سَأَتَذَكَّرُكِ!!

(٢١)

يُولَدُ الفِكْرُ أعمى

وَلَكِنَّهُ يَعْرِفُ مَا هِيَ الرُّؤْيَةُ...

إِنَّهُ اللَّمْسَةُ الحَذِرَةُ لِفَكِّ رُمُوزِ الأَشْكَالِ مِنَ الأَشْكَالِ.

وَلَا يَزَالُ يَقْتَرِحُ أَشْكَالاً جَدِيدَةً

لِمَنْ يَكُونُ وُجُودُه اللَّائِقُ فَقَطْ

فِي مُجَرَّدِ العُثُورِ عَلَى لَمْسَةٍ مَع

غُمُوضِ عَتْمَةِ السَّتَائِرِ...

وَمَعَ ذَلِكَ، تَبْقَى اللَّمْسَاتُ ذَاتَ مَعْنِى

وَأَفْضَلُ مِنَ النَّظَرِ الَّذِي يُخَمِّنُ فَقَطْ

فَلَا يَدْرُكُ مَعْنَى اللَّمْسَةِ إِلَّا مَنْ فَقَدَ البَصَرَ...

فَكَيْفَ لِمُجَرَّدِ اللَّمْسِ وَبِلَا اِقْتِنَاعٍ شَخْصِيٍّ

أَنْ يُوصِلَكَ إِلَى أَقْصَى مَعَانِي الشُّعُورِ الحَقِيقِيِّ؟

فَالشَّيْءُ الَّذِي تَلَمَسُهُ وَحَتَّى إِنْ حُذِفَ مِنْ شُعُورِكَ الآنَ

إِلَّا أَنَّهُ يُحْفَرُ فِي الذَّاكِرَةِ وَلَا يُنْسَى...

وَلِذَلِكَ فَإِنَّ الذَّاكِرَةَ غَيْرَ المَلْمُوسَةِ بِاللَّمْسِ سَتَكُونُ مُرَكَّبَةً بِوَاسِطَةٍ

الأَشْيَاءُ الَّتِي سَتُرَى فَقَطْ...

وإِذاً فَعِنْدَمَا يَتِمُّ لَمْسَنا بِمَا لَا نَسْتَطِيعُ لَمْسَهُ

سَنَكُونُ عَلَى صَوَابٍ...

فَفِكْرُ لَمْسِ الرُّؤْيَةِ

لَا يَرَى الأَشْيَاءَ

بَلْ يَرَى البَصَرَ...

(٢٢)

رُوحِي مَوْكِبٌ مِنَ الصَّلَابَةِ:

رَجُلٌ خَلْفَ رَجُلٍ دَاخِلَ مَنْحُوتَةٍ مِصْرِيَّةٍ

أَقْدَمُ مِنْ عُمْرِ مِصْرَ

مَنْحُوتَةٌ وُجِدْتْ فِي مَقْبَرَةٍ غَابِرَةٍ

وَبِطْقُوسٍ لَا يُمْكِنُ لِتَخْمِينٍ كَشْفُهَا.

حَيْثُ كَانَتْ كُلُّ الأَشْيَاءِ عَدايَ مَهْدُومَةً كَغُبَارٍ أَصْفَرَ...

وَمَهْمَا يَكُنْ مُعَنًّى إِحْسَاسُ تِلْكَ المَنْحُوتَةِ،

فَعُمْرُهَا مِنْ عُمْرِ ذَلِكَ الكَهَنُوتِ

الوَاقِفِ بِصَلَابَةٍ قُرْبَ اللهِ.

عِنْدَمَا كَانَتِ المَعْرَفَةُ عِبَارَةً عَنْ خَطِيئَةٍ كُبْرَى

وَالرَّجُلُ مُجَرَّدُ رُوحٍ فِي البَيْتِ...

وَلَكِنَّنِي عِنْدَمَا أَسْأَلُ مَاذَا يَعْنِي ذَلِكَ المَوْكِبُ المُتَمَثِّلُ بِي؟

أُخَسِّرُ فَجْأَةً كُلَّ شُعُورٍ شَعَرْتُهُ عِنْدَ رُؤْيَتِهِ

أَخْسَرُهُ وَلَا أَسْتَطِيعُ مُحَاوَلَةَ النَّظَرِ إِلَيْهِ مَرَّةً أُخْرَى...

أَخْسَرُهُ وَلَا أُرِيدُ لِذَاكِرَتِي اِسْتِرْجَاعَ مَا خَزَّنْتُهُ مِنْ رُؤْيَتِهِ.

فَحِفْظُ ذَلِكَ سَيَسْتَرْجِعُ فَرَاغَ رُؤْيَتِي لِذَلِكَ الغُبَارِ.

(٢٣)

حَتَّى عِنْدَمَا نَكُونُ بَيْنَ الظِّلَالِ، وَالسُّحُبِ تُقَبِّبُ النَّهَارَ

أَيْ عِنْدَمَا تَكُونُ السُّحُبُ سَحَابَةً وَاحِدَةً حَتَّى الأُفُقِ..

فَإِنَّ حَوَاسَّ تَفْكِيرِنَا تَرَى الشَّمْسَ المُتَوَارِيَةَ خَلْفَ السُّحْبِ.

نَرَاهَا حَتَّى عِنْدَمَا نَقُولُ «يَوْمٌ بِلَا شَمْسٍ» أَوْ «لَا

تُوجَدُ شَمْسٌ»...

وَإِلَى الآنَ فَإِنَّنَا نُخْطِئُ نَفْسَ الحَقِيقَةِ كُلَّ يَوْمٍ.

لَا شَمْسَ، وَلَكِنَّنَا نَرَى الشَّمْسَ...

فَالكَلِمَاتُ ذَاتُهَا تَعْطِي لِنَفْسِهَا الكِذْبَةَ ذَاتَهَا.

فَفِكْرَةُ جَوْهَرِ الغِيَابِ ذَاتِهِ تَأْتِي مِنَ الحُضُورِ

مِثْلَ أَنْ نَرَى الخَيْرَ فِي صُلْبِ مَا هُوَ شَرٌّ...

فَمَنْ يَتَحَدَّثْ عَنِ الضَّوْءِ

يَتَحَدَّثْ فِي الوَقْتِ نَفْسِهِ كَذَلِكَ عَنِ الضَّوْءِ الغَائِبِ.

كَانْ يَغْدُو الإِلَهُ الغَائِبُ شَيْطَاناً حَاضِراً

فَيُمْكِنُ أَنْ يَغِيبَ الإِلَهُ بِسَبَبِ الحَقِّ

كَأَنَ تَغَيُّبُ الأَسْبَابُ فِي الغِيَابِ ذَاتِهِ

(وَمَعَ ذَلِكَ لَا يَزَالُ هُنَاكَ مَنْ يَتَسَبَّبُ) فَيَنْتَفِي الأَثَرُ.

(٢٤)

شَيْءٌ مَا فِي دَاخِلِي وُلِدَ قَبْلَ النُّجُومِ

وَرَأَى الشَّمْسَ تَبْدَأُ مِنْ بَعِيدٍ...

صَفَارُنَا، يَوْمُنَا العَادِي بَلَوْنِ الجِرَارِ القَدِيمَةِ

يَوْمُنَا الَّذِي يَتَّصِلُ وَيَتَوَاصَلُ كَيَوْمٍ مُطْلَقٍ..

وَعَبْرَ لَيْلُ أَفْكَارِي،

كَرِدَاءٍ مُمَزَّقٍ يَتْبَعُ طَرِيقاً

لَمْ يَرَهُ مِنْ قَبْلُ أَبَداً...

أَسْحَبُ هَذَا المَاضِي،

الَّذِي يَرَى الْمُمْكِنُ كَفَجْرٍ

يَهْبُطُ بِشُحُوبٍ صَامِتٍ وَشَاسِعٍ.

عَلَى اللَّيْلِ الَّذِي مَضَى قَبْلَهُ...

إِنَّهُ مَاضٍ مِنَ التَّوَارِيخِ النَّائِيَةِ وَالأَبْعَدِ حَتَّى مِنْ وِلَادَةِ اللهِ

مَاضٍ لَا وِلَادَةَ لَهُ

وَلَكِنَّ العَالَمَ دَائِماً يُولَدُ بَعْدَهُ...

هَكَذَا... مِثْلَمَا يَكُونُ العَالَمُ بِالنِّسْبَةِ لِي كَالهَمْسِ.

تَجَاهَلْتُ الهَمْسَ، وَفَجْأَةً أَنْفَجِرُ ضَاحِكاً...

هَذَا يَعْنِي أَنَّ حَدْسِي لَا يُخْطِئُ

وَلَكِنَّ ذَلِكَ يَعْنِي الظَّاهِرَ مِنَ المَعَانِي فَقَطْ...

(٢٥)

نَحْنُ في قَبْضَةِ القَدَرِ

وَكُلُّ أَفْعَالِنَا قَدَرٌ...

وَدُونَ قُدْرَةٍ... سَنَخْرُجُ مِن أَرْوَاحِنَا دُونَ أَنْ نَعْرِفَ أَنْفُسَنَا.

إِفعــل، وَلَكِنَّ إِجْبَارَ الــقَدْرِ سَيُنَحِّيــكَ أَوْ يَرْجِعُكَ بِجَبَرُوتِ القَهْرِ...

فَكَمْ نَحْنُ بَعِيدُونَ جِدّاً مِنْ دَاخِلِنَا عَنِ الحَقِيقَةِ

لِنَعْرِفَ كَمْ نَحْنُ لَا نَنْتَمِي إِلَى أَنْفُسِنَا...

وَنَعِيشُ... وَلَكِنَّنَا مُحْتَرِقُونَ فِي خَطِيئَةِ اليَنَاعة...

وَإِلَى الآنَ مَا زِلْنَا صِغَاراً. بِافْتِعَالِ أَفْعَالِنَا الشَّابَّةِ...

وَنَتَجَاهَلُ لَمْحَ وُجُودِنَا الخَارِجِيِّ وَسْطَ الأَشْيَاءِ.

نَتَجَاهَلُ

بِازْدِوَاجِيَّةِ ذِهْنِنَا الَّذِي يَجْعَلُنَا نَفْشَلُ.

فَأَصْبَحْنَا كدمًى تَتَحَرَّكُ بِلَا مَعْنًى

دمًى بِسَلَاسِلَ تَمْتَدُّ مِنْ دَاخِلِنَا...

فَثَمَّةَ لُغَةٌ غَيْرُ مَفْهُومَةٍ تَتَحَدَّثُ مِنْ دَاخِلِنَا

وَنَحْنُ... كَمَا تَقُولُ هِيَ... جُزْءٌ مِنَ الحَقِيقَةِ.

(٢٦)

العَالَمُ كُلُّهُ مَنْسُوجٌ مِنَ الأَحْلَامِ وَالخَطَايَا...

وَلَكِنَّ هُنَاكَ يَقِيناً وَاحِداً فَقَطْ فِي هَذَا النَّسِيجِ الرَّهِيبِ:

إِنَّهُ حَقِيقَتُنَا...

فَعِنْدَمَا نَنْظُرُ بِالمِرْآةِ إِلَى أَفْكَارِنَا المُتَطَايِرَةِ

نَعْرِفُ أَنَّنَا مَوْجُودُونَ هُنَا بِالقُرْبِ مِنَ الفِكْرَةِ...

لَكِنَّ المِرْآةَ تُرِيكِ جَانِباً وَاحِداً فَقَطْ مِنَ الشَّيْءِ

جَانِباً مُتَجَمِّداً، بَارِداً وَلَا حَيَاةَ فِيهِ...

كَكِذْبَةٍ مُزْدَوِجَةٍ وَحَقِيقَتُهَا هِيَ:

أَنَّ الحَقِيقَةَ تَظْهَرُ مِنْ خِلَالِ مَظْهَرٍ كَاذِبٍ...

فَهُنَاكَ أَفْكَارٌ تُلَبِّدُ شُعُورَنَا اليَوْمِيِّ بِالغَرَابَةِ

وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنَ الغَرَابَةِ فَحَسَبْ

بَلْ أَعْمَقُ مِنَ الغَرَابَةِ ذَاتِها...

وَلَكِنَّنَا نُعَبِّرُ عَنْ حَيْرَتِنَا تِلْكَ بِكَلِمَاتٍ مِثْل:

«الإِحْسَاسُ بِالكَلِمَاتِ» وَ«الحَقِيقَةُ» وَ«التَّغْيِيرُ»...

وَنَعْلَمُ تمَاماً أَنَّ العَالَمَ مُزَيَّفٌ

وَلَا شَيْءَ فِيهُ يَنْتَمِي إِلَى الحَقِيقَةِ.

وَمَعَ ذَلِكَ

فَنَحْنُ لَا نُفَكِّرُ

وَكَأَنَنَا نَعْرِفُ أَنَّنَا لَنْ نَعْرِفَ أَبَداً...

(٢٧)

كَيْفَ يَبْدُو الأَمْسُ بَعِيداً جِدّاً!!

فَالمَاضِي هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ مَسَافَةٍ ثَابِتَةٍ مِنَ اللانِهَائِيَّةِ

مَا بَيْنَ اليَوْمِ وَكُلِّ الأَشْيَاءِ السَّابِقَةِ

الَّتِي أَصْبَحَتْ مُعَايَشَتُهَا الأَوَّلِيَّةُ بِالنِّسْبَةِ لَنا

مَاضِياً بَعِيداً وَلَا يُمْكِنُ إِصْلَاحُهُ...

كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ نَكُونَ بِلَا حُدُودٍ

خَارِجَ المَكَانِ الَّذِي سَنَكُونُ فِيهُ الآنَ؟

مِثْلَ مَوْجَةٍ مَا زَالَتْ تُرَى بَعِيدَةً حَتَّى اللَّحْظَةِ فَوْقَ النَّهْرِ

وَالَّتِي لَنْ تَصِلَ إِلَيْنَا، بَلْ سَتَمْضِي نَحْوَ تَدَفُّقِ المَوْجَةِ الجَدِيدَةِ لَهَا.

فَهَذَا الشَّيْءُ... المُسَمَّى الزَّمَنُ.

لَنْ يَبْقَى بِاسْتِمْرَارِهِ أَحَدٌ...

هَذَا الطاغيةُ المُسْتَبِدُّ والمتحكمُ بمَصَائِرِنا المُخْتَلِفَةِ

وَالَّذِي لَا يَرْضَخُ حَتَّى لِهَشَاشَةِ شَمْسِنَا

وَلَا لأيِّ مِنْ خُدَعِ اِسْتِخْدَامَاتِنَا الجَدِيدَةِ لِتَوَارِيخِنَا الدَّقِيقَةِ...

هَذَا الشَّيْءُ...

المُسَمَّى الزَّمَنُ

سَيَحْمِلُ يَوْماً قَلْبِي إِلَى قَبْرِهِ

مَحْمَّلاً بِخَوْفِي وَحَيْرَتِي.

(٢٨)

حَافَّةُ المَوْجَةِ المُخْضَرَّةُ

تَصْنَعُ هَمْسَةً شَفَّافَةً عَلَى الرِّمَالِ المُبْتَلَّةِ...

أَنْظُرُ إِلَيْهَا، وَكَأَنِّي فِي حُلُمٍ

فَبِالتَّأْكِيدِ...

لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الوَاقِعُ هَكَذَا!.

فبطريقةٍ مَا، وَفي مَكَانٍ مَا،

هَذَا بِالتَّأْكِيدِ قَدْ حَدَثَ،

وَلَكِنَّهُ لَا يَبْدُو لَنا كَذَلِكَ.

فَالسَّمَاءُ، وَالبَحْرُ

هَذَا المَدَى الشَّاسِعُ الَّذِي يَكْشِفُ لَنا عَنِ الفَرَحِ الخَارِجِيِّ

وَهَذَا الامْتِدَادُ مِنَ الحَيَاةِ الَّتِي نَشْعُرُ بِهَا

لَيْسَ فَقَطْ مُجَرَّدَ شَيْءٍ مَا

وَلَكِنَّهُ شَيْءٌ مُتَدَاخِلٌ...

فَمَا يَحْمِلُهُ ذَلِكَ المَعْنَى فَقَطْ

هُوَ أَنَّهُ لَيْسَ حَقِيقِيّاً...

وَإِذَا كَانَ لِهَذَا الكَوْنِ مِنْ مَعْنًى

فَهُوَ لِكَيْ تَسْتَيْقِظَ

تَسْتَيْقِظ فَقَطْ لِترَى هَذَا الضِّيَاءَ.

وَهَذَا النَّوْمَ العَظِيمَ لِلكَوْنِ...

أَنْ أَسْتَيْقِظَ مِنْ أَجْلِ تِلْكَ الجُرْعَةِ المُبَكِّرَةِ

الَّتِي تَمْلِكُ أَحْلَامِي الَّتِي سَأَسْتَعِيدُهَا مِنْهَا

وَمِنْ أَجْلِ تِلْكَ الحَقِيقَةِ المُشْتَرَكَةِ بِالخَيَالِ...

وَإِذاً فَدَعُوْنَا نُمْسِكُ بِأَحْلَامِ نَوْمِنَا المَرِيرَةِ بِعُمْقٍ.

كَلَعْنَةٍ عَادِلَةٍ جِدّاً

فَهَذَا النَّوْمُ المُشْتَرَكُ لِلبَشَرِيَّةِ

لَيْسَ إِلَّا الكَوْنَ..

(٢٩)

حَيَاتِي المُرْهِقَةْ

تِلْكَ الحَيَاةُ غيرُ الرَاضِيَةِ...

وَالَّتِي أَصْبَحَتْ مُحْبِطَةً...أَكْثَرَ مِنْ حَافَّةِ أَيِّ وَقْتٍ

عَصِيبٍ مَضَى...

هَذِهِ الحَيَاةُ الَّتِي يمْتَلِكُهَا شَخْصٌ

حُرِمَ مِنْ قُوَّةِ الإِرَادَةِ

وَمِنْ حَقِّهِ حَتَّى فِي إِرَادَةِ التَّخَلِّي وَالتَّنَازُلِ...

حَيَاتِي المُحَاصَرَةْ

مَعَ عَدَمِ وُجُودِ شَيْءٍ لِحِصَارِهَا!

حياتي

فِي حَرَكَتِهَا الخَاضِعَةِ سَلَفاً لِقَوْلِ: «نَعَم».

وَفِي أَحْلَامِهَا الَّتِي تَلَاشَتْ مِنْ دَاخِلِ أَحْلَامِهَا...

هَذِهِ الحَيَاةُ الَّتِي تَسْمَحُ لِلآلِهَةِ فَقَطْ أَنْ تَتَغَيَّرَ

أَوْ أَنْ تَبْتَعِدَ...

وَلِهَذَا تَتَعَاقَبُ لَانِهَائِيَّةٌ سَاعَاتِ الزَّمَنِ الفَارِغَةِ

مِثْلَ صَحْرَاءٍ خَلْفَ صَحْرَاءٍ

وَجَمِيعُهَا فِي النِّهَايَةِ. صَحْرَاءٌ وَاحِدَةٌ وَخَالِيَةٌ...

صَحْرَاءٌ تُقَوِّضُ أَقْوَى قِوَى الحُلْمِ وَالخَيَالِ.

صَحْرَاءٌ مُمِلَّةٌ...

وَتُرْخِي حَتَّى أَنْشَطَ فِكْرَةٍ.

صَحْرَاءٌ مُلَوَّثَةٌ بِرَغْبَةِ قَتْلِ الإِرَادَةِ لِكُلِّ مَا يُمْكِنُ أَنْ يُحْلَمَ بِهِ...

هَذِهِ الحَيَاةُ...

إِنَّهَا حَيَاتِي المَنْزُوعَةُ مِنْ حَقِيقَةٍ

لَمْ يُعْثَرْ عَلَيْهَا بَعْدُ...

(٣٠)

لَا أَعْلَمُ حَقِيقَةً كَذِبِ اللاحَقِيقَةِ

لِهَذَا الإِحْسَاسِ المُحْزِنِ الَّذِي قَدْ يَعْنِيهِ العَالَمُ الَّذِي أَرَاهُ...

أَوْ مَا إِذَا كَانَ هَذَا النَّبَاتُ المُزْهِرُ يَحْمِلُ أَيْضاً ثَمَراً

إِلَى وَاقِعٍ حَقِيقِيٍّ آخَرَ وَمَجْهُولٍ...

وَلَكِنْ كَمَا هُوَ حَالُ قَوْسِ قُزَحٍ

لَا إِلَى الأَرْضِ وَلَا إِلَى السَّمَاءِ.

بَلْ وَاقِفٌ بَيْنَ عُذُوبَةِ قَطَرَاتِ المَطَرِ المُتَسَاقِطِ...

وَكَمَا هُوَ الأَمَلُ... لَيْسَ حَقِيقِيّاً بَعْدُ... وَلَيْسَ وَهْماً أَيْضاً

كَامِناً فِي لَحْظَةٍ تَوَقَّفْنَا عَنِ الأَلَمِ...

وَبِطَرِيقَةٍ مَا، فَمُنْذُ كَانَ شُعُورُ الأَلَمَ بِذَاتِهِ شُعُوراً بِالعَذَابِ وَمَا زَالَ

فَإِنَّ الأَمَلَ لَدَيْهِ ضَمَانٌ أَفْضَلُ مِنْ كَوْنِهِ مأمولاً بِهِ...

فَلَا جَدْوَى مِنَ الشُّعُورِ

طَالَمَا أَنَّ الأَلَمَ ذَاتَهُ يَشْعُرُ بِأَنَّهُ يُعَانِي...

فَطَبِيعَةُ الإِنْسَانِ تَدْفَعُهُ دَوْماً لِيَشْعُرَ بِالوُجُودِ

بَيْنَمَا الزَّمَنُ هُوَ نَفْسُهُ الزَّمَنُ

وَالعُمْرُ وَالحُزْنُ مِنْ خُطَطِهِ

نَحْوَ مَلْجَأٍ أَفْضَلَ مِنْ مَلَذَّاتِ الزَّمَنِ...

(٣١)

أَقْدَمُ مِنَ الطَّبِيعَةِ أَنَا وَمِنْ زَمَنِهَا.

مَوْجُودٌ مِنْ قَبْلِ حَتَّى عُمْرِ الوَعْي الخَالِدِ

وَبِالرَّغْمِ مِنْ نِسْيَانِي النَّاضِجِ لِمَنَاخِ مَكَانِ وِلَادَتِي

إِلَّا أَنَّنِي لَسْتُ دُونَ وَطَنٍ...

نَعَمْ، وَخَافِتاً مِنْ خِلَالِ ضَوْءِ نَهَارِ أَفْكَارِي أُهَرْبُ تَوْقاً

نَحْوَ تِلْكَ الأَرْضِ... حَيْثُ حَلمْتُ بِطُفُولَتِي

الَّتِي لَا أَسْتَطِيعُ تذكرّها بلَونٍ،أَوْ شَكْلٍ

وَلَكِنْ بِشَيْءٍ لَهُ بَرِيقٌ يُطَارِدُ زَمَنِي... شَيْءٌ

يمْتَلِكُ ضِيَاءً وَإِلَى الآنَ لَا يمْكِنُ تَذَكُّرُهُ بِوُضُوحٍ

أَوْ تُخَيِّلُهُ مِنْ أَيِّ اتِّجَاهٍ...

فَكُلُّ مَا حَوْلَي أَصْبَحَ يُشعِرُنِي كَمَا لَو أَنَّ الحَيَاةَ قَدِ اِنْتَهَتْ

وَأَنَّ العَالَمَ لَمْ يَخْلُقْ إِلَّا لِكَيْ لَا يُوجَد...

وَهَكَذَا فَأَنَا أَعِيشُ عَلَى بِسَاطِ أَمَلِ الحَقِيقَةِ المَجْهُولَةِ

فَكَيْفَ لِي دُونَ الأَمَلِ أَنْ أَحْصُلَ عَلَى تِلْكَ الحَقِيقَةِ المَجْهُولَةِ؟

(٣٢)

لَدَيَّ إِحْسَاسٌ لَمَّا يَبْدُو إِحْسَاساً

فَالإِحْسَاسُ هُوَ الإِحْسَاسُ

سَوَاءً كَانَ إِحْسَاسِيْ أَمْ إِحْسَاساً

بِإِحْسَاسِي...

فَعِنْدَمَا أَسْمَعُ

فَالسَّمْعُ هُوَ السَّمْعُ

سَوَاءً كَانَ سَمْعِي أَمْ سَمْعاً لِسَمْعِي...

وَعِنْدَمَا أَرَى

أَرَى قَبْلَ رُؤْيَتِي تَجْرِيداً يَرَى الرُّؤْيَةَ...

فَأَنَا مُجَرَّدُ رُوحٍ مجزّأةٍ

مِنْ جُزْءِ رُوحِي أَنَا

نَحْوَ كُلٍّ مَا أُتَّصِلُ بِهِ...

فَذَلِكَ الجُزْءُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ مَا سَيَجْعَلُنِي مُرْتَبِطاً بِالكُلِّ...

فَأَنَا الجُزْءُ المُدَلَّلُ

قَدْ أُخْطِئُ كَثِيراً

وَلَكِنَّ خَطَئِي فِي النِّهَايَةِ هُوَ مُجَرَّدُ خَطَأٍ فِي إِحْسَاسِي الخَاصِّ...

بَيْنَمَا بَقِيَّةُ الأَجْزَاءِ تَسْتَمِرُّ فِي التَّسَاؤُلِ:

مَاذَا يُمْكِنُ أَنْ تَعْنِيَ كُلُّ هَذِهِ الأَفْكَارِ؟

تِلْكَ الأَفْكَارُ الَّتِي تَأْتِي لِتُفَسِّرَ مَا يَحْدُثُ، وَفَجْأَةً تَخْتَفِي...

مِثْلَ رُسُلٍ يُقَدِّمُونَ الرِّسَالَةَ وَيَسْخَرُونَ مِنْ مَعْنَاهَا

رُسُلٌ يُشَرِّحُونَ كُلَّ شَيْءٍ، مَا عَدَا جَوْهَرَ الرِّسَالَةِ...

هَكَذَا كَمَا لَو أَنَّ أَرْوَاحَنَا لطْخةٌ مُرّمزةٌ دَاخِلَ رِسَالَةٍ مُشَفَّرَةٍ

كُتِبَتْ بِلُغَةٍ غَيْرِ مَفْهُومَةٍ...

(٣٣)

هُوَ ذَاكَ الَّذِي يَتَقَدَّمُ لِلوَرَاءِ... مُنْذُ أَنْ رَحَلَ لِلأَمَامِ.

عَلَى الرّغْمِ مِنْ أَنَّهُ لَا يَتَقَدَّمُ

مَنْ يَعُودُ لِلوَرَاءِ...

هُوَ ذَاكَ الَّذِي يَسْعَى

عَلَى الرّغْمِ مِنْ يَقِينِهِ أَنْ لَا فُرْصَةً لَدَيْهِ...

هُوَ ذَاكَ الَّذِي مَا زَالَ بِالكَلِمَاتِ الَّتِي قِيلَتْ مِرَاراً يُعَلِّلُ تَعَاسَتَهُ...

فَكُلُّ هَذَا التَّنَاقُضِ الَّذِي يَمْلِكُهُ

هُوَ اللاجَدْوَى دَاخِلَ مَعْنَى العَالِمِ تجَاهَ هَشَاشَةِ الأَشْيَاءِ.

فَهَلْ مَا زَالَ حَقِيقِياً مَا يُدعى بِجَوْهَرِ الفِكْرِ النَّقِيِّ

وَأَنَّ هُنَاكَ معنًى لِشَيْءٍ مَا فِي مَعْنَى اللا شَيْءِ؟

فَمُجَرَّدُ التَّفْكِيرِ فِي اللاشَيْءِ يَجْعَلُ مِنْهُ قَادِراً عَلَى المَنْحِ

تَمَاماً كَمَا يَنْتِجُ مِنْ عَدَمِ المَنْحِ مِنَحَ اللاشَيْءِ.

وَهَكَذَا فَالأَمْرُ ذَاتُهُ لِلفِكْرِ الحَقِيقِيِّ غَيْرِ المَوْجُودِ

فَأَنْ تُخْطِئَ... فَهُوَ فِعْلٌ لِإِيجَادِ الحَقِيقَةِ، حَتَّى وَلَوْ

كَانَتْ تِلْكَ الحَقِيقَةُ ضِدَّكَ...

فَلِمَاذَا نَنْعَتُ هَذَا العَالَمَ بالخَادِعِ؟

فَإِنَّ كَانَ خَادِعاً... فَكُنَّ لَا شَيْءَ لِتَكُونَ...

فَكَوْنُكِ لَا شَيْءَ

يَعْنِي أَنَّ تَكُونَ.

(٣٤)

يَا لِسَعَادَةِ المُبْتَلَيْنَ...

المُقْعَدِ، وَالمَجْنُونِ، وَالأَعْمَى.

وَكُلِّ مَنْ حُكِمَ عَلَيْهِ بِالانْفِصَالِ عَنَّا بِسَبَبِ النَّقْصِ...

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَا يُدِينُونَ بِوَاجِبِ الوَلَاءِ لِلبَشَرِيَّةِ.

وَلَا قِيمَةً عِنْدهِمْ لِمُخَطَّطَاتٍ أَوْ بَرَامِجَ أَوْ قُيُودٍ!

وَلَكِنْ مَاذَا عَنِّي أَنَا؟

أَنَا مَنْ تَسَبَّبَ القَدَرُ بِنَقْصِهِ

وَلَيْسَ الطَّبِيعَةُ..

أَنَا مَنْ أَصْبَحَتْ مُعفًى دُونَ مُعَطَّلٍ خَارِجِيٍّ

أَنَا مَنْ يَتَلَقَّى نَظْرَاتِ الاتِّهَامِ كُلَّمَا فَشِلْتُ.

مَاذَا عَنِّي؟

أَنَا الثَّابِتُ فِي المَدَارِ الكَوْنِيِّ لِلاحْتِقَارِ...

فَكَمْ قَاسِيَةٌ هِيَ الطَّبِيعَةُ

وَلَكِنَّ القَدَرَ أَكْثَرُ قَسْوَةً.

يَلِدُ مُشَوَّهِينَ وَمَرَضَى يَخْرُجُونَ بِلَا سَبَبٍ مَنْطِقِيٍّ

جاعلاً مِنَّا سُخْرِيَّةً مَجَّانِيَّةً تسْنُدُ مِرْآةً تَظْهَرُ فِيهَا

أَفْعَالُ القَدَرِ نَفْسه كَمَا لَوْ كَانَ هُوَ المَظْهَرُ وَحْدَهُ.

حَيْثُ البَشَرُ، كَالأَطْفَالِ، يَرَوْنَ المِرْآةَ هُنَاكَ

فَتَلْتَقِطُ لَهُمْ صُورَةً بِوَضْعِيَّةٍ تَحَمُّلِ القَدْرِ...

(٣٥)

عَظِيمٌ.... لَقَدِ انْتَهَيْتُ

قَلْبِي أَصْبَحَ ثَقِيلاً

وَأَنَا حَزِينٌ...

النَّهَارُ فِي الخَارِجِ يَبْدُو كَتِمْثَالٍ شَفَّافٍ مُضَاءٍ بِالأَزْرَقِ

هُوَ تَمَاماً كَكُلِّ نَهَارٍ

لَمْ يَتَغَيَّرْ

وَهَذَا شَيْءٌ لَا يَعْنِينِي...

أَصْبَحْتُ ممتناً لِمُجَرَّدِ أَنَّنِي غَدَوْتُ لَسْتُ أَنَا (بَعْدَ أَنْ تَحَلَّلَتْ آلَامِي)...

أَنَا...الَّذِي فَشِلْتُ فِي كُلِّ شَيْءٍ... وَلَا أَبْكِي عَلَى شَيْءٍ

فِي هَذِهِ السَّاعَةِ، سِوَى أَنِّي قَدْ بَكَيْتُ فِيمَا مَضَى.

فَتَحْتَ وَطْأَةِ المَصِيرِ الكُلِّيِّ

مَاذَا يَعْنِي أَنْ تَفْشَلَ؟

لِمَاذَا يَبْدُو المَصِيرُ ذَاتَهُ كَمَاضٍ لِمَصِيرٍ آخَر

فَهَلْ لِمُجَرَّدِ أَنَّهُ فَشِلَ؟

وَهَكَذَا فَمَهْمَا أُوقِفْتَ أَوْ تَوَقَّفْتَ

فَلَنْ يُهِمّ...

فَأَنْتَ مَسْلُوبُ الإِرَادَةِ.

فَدَعوْنَا بِأَقْصَى عَبَثٍ نَحْتَلُّ وَنَغْزُو ذَكَاءَنَا

لِنَعِيَ أَنَّ المَصِيرَ لَنْ يَتَغَيَّرَ...

كَمَا أَبَدِيَّةُ اِنْتِظَامِ النُّجُومِ الَّتِي قَيَّدَتْنَا

عِنْدَمَا اِحْتَلَّتِ السَّمَاءُ شاهدةً عَلَى وِلَادَتِنَا

وَمَوْتِنَا....

(اِنْتَهَتْ)